

نجيب محفوظ من الجائزة الى الطعنة

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل .. الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية ..

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ .. ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام ..

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

والتلفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهنئ أو عقوداً أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيراً ما حدث ويحدث وضع عملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني في المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أو مؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمي على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التي لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد؟! وبالتالي هل تحتفى العادات الطارئة؟! أم أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل؟!!

أسئلة لا يمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء » ، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام » بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التى تحمل رقم ٦٠٦ بـ برج الأهرام - الدور السادس ، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنب الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً ، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

السنوات التي لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربي يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقي سونيك ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحداً لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التي فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيراً فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التي كانت مرشحة معه ، والمنافسة التي اشتدت في التصفيات النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل في أن نجيب محفوظ لا يختلف حوله اثنان في الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة في عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية في الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ، ولم يردّ أحداً، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التي ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون في الوطن العربي قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتلفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله في السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية في تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت في نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة ..

صحيح أن جائزة نوبل العالمية في الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصري الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وساماً على صدر مصر والوطن العربي كله .. وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست في عنق الكاتب الكبير كما

انغrust في عُنتق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ،
وكل إنسان شريف في العالم أجمع . وإن كانت الجائزة
قد حققت كل أهدافها في رفع راية العروبة واسم
مصر ، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ، فقد نَجَّى الله
الرجل وأنعم عليه بالشفاء ، وأكرمه بمواصلة العطاء ،
وظمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه
والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد
التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام
أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس في تاريخ الرجل
وحده ، بل في تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت
الأيدي القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ،
وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان
الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة
بالحرقة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف
العدل كان أمضى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ،
وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذى كسر
السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى
الله العلى القدير أن يلفظ بشيخوخة الرجل الطيب
وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة
الجميع ، وهامته مرفوعة في ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هي باكورة منشورات
الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ
من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ
محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب
من نجيب محفوظ .. وهي مقالات كتبها نجيب
محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل - من عام ١٩٧٤
حتى عام ١٩٨٧ - على أمل نشر مقالاته السابقة على
تلك الحقبة، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه
المقالات في ثلاثة كتب أولاً ، هي : « الدين
والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة
والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب
محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيراً عن تواضعه
المعهد .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك
المقالات إلى النور ..

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التي تضم
وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل
حصوله على جائزة نوبل في أكتوبر عام
١٩٨٨ ، وتنتهي مع الطعنة الغادرة في أكتوبر ١٩٩٤

.. وتتكون من خمسة كتب ، هي : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة » ، و « حول التحرر والتقدم » ، و « حول العلم والعمل » ، و « حول العرب والعروبة » ..

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التي نرجو ونأمل أن تستمر في الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائي والقصصي والمسرحي ، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذي لا يقل بأي حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة .. عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذي تحمس لهذا المشروع القومي الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، في أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية .. والثقة كل الثقة ، في أن تترجم هي أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم .. والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

obeikandi.com